جامعة المنصورة
كلية التربية

الرثاء في شعر النساء في الجاهلية وصدر الإسلام

إعداد

عادل محمد أحمد محمد

إشراف

أ.د/ رزق المتولي رزق أحمد
أستاذ النقد الأدبي القديم بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية-جامعة المنصورة

د/حازم أحمد سليط
مدرس البلاغة والنقد بقسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية
كلية التربية-جامعة المنصورة

مجلة كلية التربية – جامعة المنصورة
العدد ١٢٦ – إبريل ٢٠٢٤

الرثاء في شعر النساء في الجاهلية وصدر الإسلام

عادل محمد أحمد محمد

مقـــدمـــة:

الحمد لله الذي خلق الإنسان، وعلمه البيان، والصلاة والسلام على من أوتي جوامع الكلم القائل: «إنَّ مِنَ البيانِ سحرًا، وإنَّ مِنَ الشعرِ حكمًا» [1] وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد

فهذه بحث بعنوان: (الرثاء في شعر النساء في الجاهلية وصدر الإسلام "دراسة وصفية")، دراسة تعني بتتبع الرثاء عند شاعرات الجاهلية وصدر الإسلام.

أسباب اختيار الموضوع:

تعد محاولة الكشف عن ملامح صورة الرجل المرثي عند شاعرات العرب ودوافعها واتجاهاتها في الجاهلية وعصر صدر الإسلام، السبب الرئيس وراء اختياره موضوعاً للدراسة، لدوافع عديدة منها:

١- عدم وجود دراسة متخصصة تناولت صورة الرجل المرثي عند شاعرات العرب في الجاهلية وصدر الإسلام ـــ على حد علم الباحث ـــ.

٢- إلقاء الضوء على النتاج الأدبي والفني للمرأة في عصر الجاهلية وصدر الإسلام.

٣- محاولة الكشف عن ملامح الجمال لصورة الرجل عند شاعرات العرب في الجاهلية وعصر صدر الإسلام.

٤- التعرف إلى تطور الصورة الشعرية عند شاعرات العرب في الجاهلية وصدر الإسلام.

تساؤلات البحث:

يستند هذا البحث على تساؤل رئيس هو: ما ملامح صورة الرجل عند شاعرات العرب في الجاهلية وعصر صدر الإسلام؟ وقد استدعى هذا التساؤل الرئيس عدة تساؤلات فرعية، هي:

١- ما المضامين الموضوعية لصورة الرجل المرثي عند شاعرات العرب في الجاهلية وصدر الإسلام؟

٢- ما المؤثرات العامـة التي شكلت صورة الرجل المرثي عند شاعرات العرب في الجاهلية وصدر الإسلام؟

٣ - ما هي أكثر أوصاف الرجل المرثي عند شاعرات العرب في الجاهلية وصدر الإسلام؟

المنهج المستخدم في البحث:

أما المنهج الذي سيتبعه الباحث في دراسته، فهو المنهج الوصفي، الذي يقوم على التحليل؛ حيث يقف على ظاهرة الرثاء في شعر النساء في الجاهلية وصدر الإسلام؛ ليصف الظاهرة، ويتعرف إلى مضامينها الموضوعية وأبعادها، ثم يتطرق إلى النواحي الفنية.

---

[1] - الترمذي (محمد بن عيسى): سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م، رقم: ٢٨٤٥، ص ١٧٣١.

مادة الدراسة وحدودها: (الحدود الزمانية):

تتمثل مادة البحث فيما صدر عن شاعرات العرب في الجاهلية، إلى نهاية عصر صدر الإسلام سنة أربعين هجريًا.

حدود الدراسة:

شاعرات العرب في العصر الجاهلي	شاعرات العرب في عصر صدر الإسلام
ليلى العفيفة بنت لكيز	فاطمة بنت النبي عليه الصلاة والسلام
الجليلة بنت مرة	أم أيمن
الجيداء بنت زهرا	عائشة بنت أبي بكر الصديق
سمية زوجة شداد العبسي (خالة عنترة)	صفية بنت عبد المطلب
الفارعة بنت شداد	عاتكة بنت عبد المطلب
زينب اليشكرية	حفصة بنت عمر
أم قرفة	عاتكة بنت نفيل
الهيفاء بنت صبيح القضاعية	نائلة بنت الفرافصة-زوج عثمان بن عفان-
رثاء ليلى بنت الأحوص	أعرابية من بني عبد ود
أم الصريح الكندية	ليلى الأخيلية
امرأة من بني أسد	جويرية بنت خالد بن قارض
السلكة أم السليك	ليلى الأخيلية
الخرنق بنت بدر (أخت طرفة بنت العبد لأمه)	نائلة بنت الفرافصة
سعدى بنت الشمردل الجهنية	زينب بنت العوام
دخنتوس ابنة لقيط بن زرارة	فاطمة بنت الأحجم الخزاعية
صفية الباهلية	سكينة بنت الحسين-زوجة مصعب بن الزبير-
الخنساء	أروى بنت الحارث بن عبد المطلب
تماضر بنت الشديد السلمية-زوجة زهير بن جذيمة ملك غطفان	أم البراء بنت صفوان
امرأة من كندة	سودة بنت عمارة
الفارعة بنت معاوية القشيرية	أم سنان بنت خيثمة بن خرشة
أم حكيم	عقيلة بنت أبي طالب
سلمى ابنة مالك بن بدر الذبيان	الرباب- زوجة الحسين بن علي-
ريطة بنت عاصم	هند بنت زيد الأنصارية
ذبية بنت بيشة الفهمية	عمرة بنت مرداس ابن أبي عامر-بنت الخنساء-
أمامة بنت ذي الأصبع العدواني	الجعفية-زوجة عمرو بن معد يكرب الزبيدي-
عاصية البولانية	لبانة بنت الحارث الهلالية
سبيعة بنت عبد شمس	قتيلة بنت النظر

هيكل البحث ومحتواه:

اقتضت طبيعة هذا البحث أن يتكون من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة البحث. أما المقدمة، فقد تناولت فيها أسباب اختيار الموضوع، المنهج المتبع، وخطة دراسته.

أما التمهيد، فقد تحدثت فيه عن تعريف الرثاء، ثم يأتي المبحث الأول: الرثاء في شعر النساء في الجاهلية، والمبحث الثاني: الرثاء في شعر النساء في صدر الإسلام.

التمهيد:

إن الشعر العربي وثيق الصلة بالحياة؛ فهو أداة العرب في التعبير عما يموج في صدورهم من مشاعر، وهو سجل حافظ لأيامهم ومآثرهم، وكانت القبائل تتغنى بشعر شعرائها، وكان هذا الشعر قد شمل كل الأغراض المختلفة، فالشاعرة العربية قوية الصلة ببيئتها؛ ولم يكن قرض الشعر

في هذه الفترة مقصورًا على الرجال فقط، بل ساهمت المرأة في هذا الإرث الشعري بباع كبير؛ لأنها أم وأخت وزوجة فكانت إما مادحة لأهلها أو زوجها أو أبنائها أو راثية لهم، أو متغزلة في زوجها، بما يتناسب مع طبيعة المرأة الفطرية، وبما يتفق مع تقاليد بيئتها، يقول الدكتور علي الهاشمي: "من الظواهر الجديرة بالعناية، أن تجد من الشعراء في الجاهلية عددًا من النساء، ومنهن من تنتمي إلى الطبقات الراقية، والبيوتات الشهيرة".([1])

تعريف الرثاء:

إن الرثاء كما عرفته كتب اللغة: هو بكاء الميت، والتفجع على فقده، وتعديد محاسنه، وهو من ألصق الفنون الشعرية بالنفس الإنسانية، ومن أصدقها تعبيرًا عن تجربة الحزن والأسى والألم ([2])، تعددت التعريفات-وإن اتفقت في معظمها- فعرفه الحوفي" بأنه المجال الفسيح الذي انطلقت فيه عواطف المرأة؛ لأنه نوع من البكاء والنواح" ([3]). وتسمى قصيدة الرثاء مرثية، والرثاء لون من ألوان المدح، إلا أنه مدح للموتى، ولذا قال قدامة بن جعفر: "ليس بين المرثية والمدحة فصل إلا أن يُذكر في اللفظ ما يدل على أنه لهالك، مثل كان وتولى وقضى نحبه وما أشبه ذلك"([4])، ويرى الدكتور شوقي ضيف أن الرثاء عند العرب يأخذ ألوانًا ثلاثة، وهي الندب والتأبين والعزاء. ([5])

عرفت أمة العرب الرثاء منذ العصر الجاهلي؛ إذ كان النساء والرجال جميعًا يندبون الموتى، كما كانوا يقفون على قبورهم مُثنين على خصالهم، والصور التي وصلت إلينا من هذا الرثاء صور راقية؛ إذ نراها تعبر عن شعور عميق بالحزن والألم ([6])، وكان يساهم في هذا الفن الرجال والنساء، بل كان للمرأة النصيب الأكبر في هذا الباب، فهن يبكين الميت لأيام، ويلطمن خدودهن، فكان من الطبيعي أن تتفوق المرأة على الرجل في الرثاء؛ لأنها أدق إحساسًا وشعورًا من الرجل، وفي هذا يقول ابن رشيق: "والنساء أشجى الناس قلوبًا عند المصيبة، وأشدهم جزعًا على هالك؛ لما ركب الله عز وجل في طبعهن من الخور، وضعف العزيمة".([7])

المبحث الأول: الرثاء في شعر النساء في الجاهلية.

يعد الرثاء من أبواب الشعر التقليدية التي كانت أكثر اتساعًا أمام صدق تجارب النساء، وفتح باب الرثاء أمامهن على مصراعيه، وتنوعت مجالاته، واتسع فيه مجال الصدق والتعبير عن شكوى النفس، وكم الحزن الذي يعتصر المرأة إزاء فقدها عزيز عليها، والمرأة بطبيعتها تكون أرق من الرجل في تصوير أحزانها، ولدينا من اللوحات الفنية ما يستحق التأمل، ولعل من أقدم ما وصل إلينا هو رثاء ليلى العفيفة ([8]) لغرسان ابن عمها وأخي زوجها-البراق-، الذي صرعه بنو تغلب فقالت :([9]) [البسيط]

قدْ كانَ بي ما كفى من حزن غرسانِ ... والآنَ قد زادَ في همي وأحزاني

ما حالُ براقَ من بعدي ومعشرنا ... ووالدي وأعمامي وإخْواني

---

[1] -علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، بغداد، مطبعة دار المعارف، ١٩٦٠م، ص٢٧٥.

[2] - يُنظر، يحيي شامي، أروع ما قيل في الرثاء، بيروت، دار الفكر العربي، دت، ص٥.

[3] - د: أحمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، د ت، ص٦١٢.

[4] - قدامة بن جعفر، نقد الشعر، قسطنطينية، مطبعة الجوائب، ١٣٠٢ه، ص٣٣.

[5] - شوقي ضيف، الرثاء، دار المعارف، ط٤، ص٥.

[6] - يُنظر: نفسه، ص٧.

[7] - ابن رشيق القيرواني، العمدة في نقد الشعر، شرح عفيف نايف حاطوم، بيروت، دار صادر، ٢٠٠٣م، ص٤٣٢.

[8] - راجع ترجمتها، لويس شيخو: شعراء النصرانية، بيروت، ١٩٣٤م، ص١٤٨.

[9] - نفسه، ص١٥٠،١٤٩.

قد حالَ دوني يا براقُ مجتهدًا ... من النوائبِ جهدٌ ليسَ بالفاني
كيفَ الدخولُ وكيفَ الوصلُ وا أسفا ... هيهات ما خلتُ هذا وقتَ إمكانِ
لما ذكرتُ غريبًا زادَ بي كمدي ... حتى هممتُ من البلوى بإعلانِ
تربعَ الحزنُ في قلبي فذبتُ كما ... ذابَ الرصاصُ إذا أصلى بنيرانِ
فلو تراني والأشجان تقلقني ... عجبت براقُ من صبري وكتماني
لا درَ درُ كليبٍ يوم راحَ ولا ... أبي لُكيز ولا خيلي وفرساني
عن ابن روحانَ راحتْ وائلٌ كثبًا ... عن حاملٍ كلَ أثقالٍ وأوزانِ
وأسلموا المالَ والأهلينَ واغتنموا ... أرواحَهُم فوق قُبٍ شخصَ أعيانِ
فتى ربيعة طوافٌ أماكِنها ... وفارسُ الخيلِ في روعٍ وميدانِ
يا عين فابكي وجُودي بالدموعِ ولا ... تملَ يا قلبُ أن تبكي بأشجانِ
فذكرُ غرثان مولى الحي من أسدٍ ... أنسى حياتي بلا شكٍ وأنساني

فليلى هنا في هذه الأبيات ترسم لوحة بكائية، لونتها بمشاعر الحزن والأسى، فهي تطلب نفسها بالكف عن الحزن على غرسان؛ فهمومها قد زادت وأحزانها تكاثرت، بسبب نأيها وبعدها عن براق وقومها، فهي كلما تذكرت غرسان زاد بها الحزن حتى أن نفسها لم تعتد تحتمل الحزن؛ فتلجأ إلى إشاعة وإعلان همها، فالحزن يتربع ويملك أواصر قلبها فهو يذوب كما يصطلي الرصاص بالنار، وتطلب من عينها أن تجود بالدموع على فارس مغوار من فرسان العرب، ثم تتطرق بعد ذلك لمدح زوجها البراق، من خلال رثاء أخيه، فهي ترثي ميتًا وعينها على حبيب حي تمدحه.

ومن ذلك أيضا ما نظمته أم الأغر البكرية -أخت كليب- في رثاء غرسان أيضًا وتحرض فيه بني بكر على الأخذ بثأره حيث تقول:([1])[الوافر]

ألا فابكي أعيني لا تَملي ... فلي بمصابنا أبدًا عويلُ
فلا سلمتْ عشيرتُنا وعادتْ ... إذا صُرِعَ ابنُ روحانَ النبيلُ
إذا رُحتُم وخلفتُم هُبلتُم ... لغرثانٍ فلا راحَ القبيلُ
فرحتُم بالغنائمِ حين رُحتُمُ ... وبانَ بموتهِ الغنمُ الجليلُ
تركتُم ذا الحفاظِ وذا السرايا ... وراءَكم أضلكم الدليلُ
فقلْ لنويرةٍ وكليب مهلًا ... أقيما إنَ خزيكمَا طويلُ

ونلاحظ أنها تطلب من عينها عدم الكف عن الدموع؛ فالمصيبة جلل؛ لأن فارسًا من فرسان الحي قُتل، فلا سلمت العشيرة إذا صُرع ابن روحان-غرسان- وتلوم على قومها فرحهم بالغنائم ونسيانهم فارس القوم، حتى قال نويرة وكليب تمهلوا لأن المقام بعد موت غرسان خزي طويل.

وبعد مقتل غرسان قُتل أخوه البراق فقالت ليلى العفيفة-زوجته- في وداعه ورثائه:([2])[الطويل]

تزودْ بنَا زادًا فليس براجعٍ ... إلينا وصالٌ بعدَ هذا التقاطعِ
وكفكفْ بأطرافِ الوداعِ تمتعًا ... جُفونَك من فيضِ الدموعِ الهوامعِ
ألا فاجزني صاعًا بصاعٍ كما تَرَى ... تصوبَ عينِي حسرةً بالمدامعِ

فبعدما رثت ليلى العفيفة غرسان -ابن عمها وأخي زوجها- انتقلت لرثاء زوجها نفسه ولعل رثاءها لغرسان كان أقرب لرثاء المجاملة؛ فهي ترثي ميتًا وعينها على حبيب حي تجامله، ولكن عندما قُتل البراق

---

[1] - بشر يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت، المكتبة الأهلية، ١٩٣٤م، ص٣٥.
[2] - شعراء النصرانية، ص ١٤٨.

-زوجها- فالمصيبة هنا جلل؛ فحبيبها هو الذي مات، وهي تعلم أن حبال الوصال قد تقطعت بينهما، وتطلب منه أن يمسح الدموع المنهمرة، وهي تطلب منها أن يجزها صاعًا؛ لأنه كما يرى أن عينها لا تكف عن البكاء من فرط الحسرة على مقتله.

ومن رثاء الأزواج أيضًا رثاء الجليلة بنت مرة التي فُجعت في زوجها-كليب- على يد أخيها جساس بن مرة، فراحت تبكيه بغزارة وتقول:([1])[البسيط]

يَا عينُ فابكِي فإن الشرَ قد لاحَا ... وأسْلبِي دمعَكِ المخزونَ سفاحًا

هذا كليبٌ على الرمضاءِ مُنجدلٌ ... بينَ الخزَامَي علاهُ اليومَ أرماحَا

وتطلب من عينها البكاء على سيد العرب؛ لأن الذي تخشى منه وتخافه قد وقع وحل، وترجوها أن تجود بدمعها وتسكبه؛ لأن كليبًا أصبح قتيلًا مجندلًا طريح الأرض، فقد قُتل رب بيتها على يد أخيها.

وبعد ذلك تصور قومه عندما هبوا لنصرته لما علموا بمقتله، مصورة شجاعته ومقامه فيهم فتقول:([2])

والتغلبيُون قد قَامَوا بنصرتهِ ... وكنتُمْ وجَلال اللهِ أوقاحَا

وقدْ كان تاجًا عليهم في محافِلِهمْ ... وكان ليثَ وَغَى للقرنِ طراحَا

وهي تصور زوجها بالتاج الذي يعلو محافلهم ومجالسهم، وكان أسدًا في الحروب والمعارك، فلا يخفى على أحد شجاعة كليب.

والجليلة هنا في مصيبة جللٌ؛ فالقاتل أخوها، والمقتول زوجها، فهي تكوى بنارين؛ فزوجها قُتل، وأخوها لابد أنه سيقتل بثأر كليب فتقول: ([3])[الرمل]

جلَ عندي فعلُ جساسٍ فيا ... حسرتي عما انجلى أو ينجلي

لو بعينٍ فديتُ عيني سوى ... أُختِها فانفقأت لم أحفلِ

تحملُ العينُ أذى العينِ كما ... تحملُ الأمُ أذى ما تعتلي

يا قتيلًا قوضَ الدهرُ به ... سقف بيتِي جميعًا من علِ

وعندما مات كليب طلبت منها الزهراء-أخت كليب- الرحيل عنهم، وقالت لها أنها ترحل رحيل الشامت فالقاتل أخوها فقالت الجليلة ترد عليها، وتصور ما ألم بها من مصاب، لا طاقة لها بحمله: ([4])

يا ابنة الأعمامِ إن لمتِ فلا ... تعجلي باللوم حتى تسألي

فإذا أنتِ تبينتِ الذي ... يوجبُ اللوم فلومي واعذلي

إن تكنْ أختُ امرئ ليمتْ على ... شفق منها عليهِ فافعلي

فهي تطلب منها عدم اللوم قبل معرفة حالها، فلو رأت منها الذي يوجب اللوم فلتلمها فهي مهمومة مثلها بمقتل زوجها وغير شامتة؛ لأن أخاها قد هدم عليها بيتها الذي ظلت تحلم به طوال حياتها فتقول :([5])

هدمَ البيتَ الذي استحدثتُه ... وانثنى في هدمِ بيتِي الأولِ

ورماني قتلُه من كثبٍ ... رمية المُصمى به المستأصلِ

---

[1] -عبد مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ص٣٩.

[2] - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٣٩.

[3] -نفسه، ص٣٧.

[4] -نفسه، ص٣٧.

[5] نفسه، ص٣٨.

يا نسائي دونكنَ اليومَ قد خصني الدهرُ برزءً مُعضلٍ
خصني قتلُ كليبٍ بلظى من ورائي ولظى مستقبلي
ليس منْ يبكِي ليوميه كمنْ إنما يبكي ليومٍ ينجلي
يشتفي المدركُ بالثأرِ وفي دركي ثأري تُكلُ المثكل
ليته كانَ دمي فاحتلبوا دررًا منه دمي من أكحلي

فهي تنعي حظها ومصيرها، لأن أخاها قتل حبيها وسيدها، وفارس القبيلة، فهي تبكيه بكاءً حارًا لأيامها القادمة، فلا بد أن شفاء قوم كليب بإدراك ثأره، وفي إدراك ثأره مصيبة أيضًا لها؛ لأن إدراك الثأر سيكون بقتل أخيها، فهي تتمنى لو كان دمها هو الذي أُريق؛ حتى لا تحيط بها المصائب الحوادث من كافة الأطراف.

وليس ببعيد عن قول الجليلة، قول الجيداء بنت زهرا فهي الأخرى قُتل زوجها-خالد بن محارب الزبيدي- على يد عنترة العبسي فقالت تبكيه:([1])[الخفيف]

يا لقومِي قدْ قرحَ الدمعُ خدَي وجفاني الرقادُ من عظمِ وجدِي
كانَ لي فارسٌ سقاهُ المَنَايَا عبدُ عبسٍ بجورهِ والتَعَدِي
بدرُ تمَ هوَى إلى الأرضِ لما رشقَته السهامُ من كف عبدِ
ورَمانِي مِنْ بعدِ أنصَار جندِي في همومٍ أكابدُ الوجدَ وحدِي
يا قتيلًا بكتْ عليه البواكي في جبالِ الفلا وفي أرضِ نجد
كان مثلَ القضيبِ قدًا ولكن قدَه صَرفُ دَهره أي قدِ

فهي تناجي قومها وتخبرهم أن الدمع قد جرح خدها من كثرة بكائها على فقيدها، وحرمها مقتله لذة النوم، وتندب حظها على مقتل زوجها الفارس الشجاع الذي أصابه سهم فارس بني عبس، وتصوره بالبدر الهابط من السماء، فأصابه سهم من يد عبد، وترى الدهر رماها بمصيبة غير قادرة على تحملها، وتتمنى لو كان قُتل على يد سيد شريف؛ فتصير مصيبتها ضئيلة، ولكن كانت نهايته على يد عبد

ومن ذلك قول سمية ترثي زوجها شدادًا العبسي فتقول :([2]) [المتقارب]

جَفَاني الكرَى وأنَا في الغسقِ وسَاعَدني الدمعُ لما اندفقْ
لفقدِ همامٍ مَضَى وانْقَضَى وقدْ زادَ مني عليهِ القلقْ
فمنْ بعدَ شدادَ يحمي الحريمَ إذا الحربُ قامتْ وسالَ العرقْ
ومنْ يردعُ الخيلَ يومَ الوغَى ومنْ يطعنُ الخصمَ وسطَ الحدقْ
ومنْ يكرمُ الضيفَ في أرضِه ومنْ للمنادي إذا ما زعقْ
لقد صرتُ مِنْ بعدِه في ضنى وقلبي لأجلِ الفراقِ احترقْ

وهذه أيضًا كأختها السابقة، قد قرحت الدموع جفونها؛ فزوجها هو حامي الحمى، المدافع عن نساء القوم وقت الحرب، المكرم للضيف، الملبي نجدة المستغيث، الطاعن بمهنده خيول الأعداء إذا اشتدت الحرب.

وهذه الهيفاء بنت صبيح تندب زوجها نوفل بن عمرو التغلبي، كلما جنّ عليها الليل وأشرق الصبح، مما يعبر عن مدى طول حزنها؛ فهي ملهوفة على موته، ولكن لهفها ليس بنافع، وتمطر

---

[1]-عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين، دار أسامة للنشر والتوزيع، ج١، ص١١٢.

[2] -شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٤٥.

الدعوات على الحجيب؛ لأن ابنه اغتال زوجها، كما تتوعده بحرب لا طاقة له بها، حيث تقول:([1]) [البسيط]

أبكي وَأبكي بإسفارٍ وَإظلام ... عَلى فتىً تغلبيّ الأصل ضرغام
لهفي عَليه وَما لهفي بنافعةٍ ... إلّا تكافحُ فرسانٍ وأقوام
قُل لِلحُجَيبِ لحاك اللّه مِن رَجُلٍ ... حُمّلتَ عارَ جميعِ الناس من سامِ
أيقتل إبنك بعليّ يا إبن فاطمةٍ ... وَيشربُ الماء ذا أضغاث أحلام
وَاللّه لا زلتُ أبكيهِ وَأندبه ... حتّى تَزورك أخوالي وأعمامي
بِكلّ أسمرَ لدن الكعب معتدلٍ ... وكلّ أبيضَ صافي الحدّ قمقامِ

وليس ببعيد عن الصوت السابق صوت زينب اليشكرية التي قُتل زوجها مالك بن فند، وأبوها مهرة بن الرائد، في حرب بكر وتغلب فقالت ترثيهما :([2])[الطويل]

أناختْ عليكم خيلُ يومَ كريهةٍ ... فما إن تملُوها ولا هيَ ملتِ
تُحمحمُ خيلٌ بعدَ خيلٍ تقدمتْ ... مصارعُكم فيها منْ الذل حلتِ
على مالكِ بن الفند أُرزاه حسرة ... تجددُ لي حزنًا إذا قلتُ ولتِ
أراني كسربٍ حيلَ عنه أليفُه ... قوافزه في مهمه الخبتِ ضلتِ

فهي تصور مفقودها بعدما قُتل في المعركة، وخلف لها كثيرًا من الحزن والأسى والحسرة، حتى أصبح حزنها متجدداً عليه لا ينقطع.

ولعل من عظيم الفجيعة، أن يكون مُصاب المرأة في ولدها، فلذة كبدها، ومناط فؤادها، ومن ذلك قول أم قرفة وكانت زوجة لحذيفة بن بدر الفزاري، قتل قيس بن زهير العبسي ابنها قرفة وحمل ديته إلى أبيه فرضي بها، وكانت عزيزة الجانب أنفة فأنكرت فعل زوجها، وعابت عليه وقالت ترثي ولدها:([3])[الوافر]

لعلَ منيتي تأتي سريعًا ... وترميني سهامُ الحادثاتِ
فيا أسفِي على المقتول ظلمًا ... وقد أمسَى قتيلًا في الفلاةِ
تُرى طيرُ الأراكِ ينوحُ مثلي ... على أعلى الغصونِ المائلاتِ
وهلْ تجدُ الحمائمُ مثلَ وجدي ... إذا رُمِيت بسهمٍ من شتاتِ
فيا يومَ الرهان فُجعتُ فيه ... بشخصٍ جاز عن حدِ الصفاتِ
ولا زالَ الصباحُ عليك ليلًا ... ووجهُ البدرِ مسود الجهاتِ

فهي تخشى من أن تدركها المنية قبل الأخذ بثأر ولدها، وهي تبكي وتنوح من صميم فؤادها على ابنها المقتول ظلمًا، وقد صار يواريه التراب، ومع موت ولدها أظلمت الحياة في وجهها، فالليل سرمدي ليس له صباح، والبدر قد أفل بموت ولدها.

ومن ذلك رثاء ليلى بنت الأحوص لابنها بسطام، وتجد أن بكاءها وحدها عليه ليس يُجدي؛ فهو يستحق البكاء من الجميع بما في ذلك كل الأسرى، والفرسان، والأرامل، والعجائز الذين طالما قد وقف بجانبهم ونصرهم فتقول ([4]): [الطويل]

سيبكيك عانٍ لمْ يجدْ منْ يفكهُ ... وتبكيكَ فرسانُ الوغى ورجالُها
وتبكيك أسرى طالما قد فككتَهمْ ... وأرملةٌ ضاعتْ وضاعَ عيالُها

---

[1] - محمد ألنوتجي، شاعرات العرب في عصر النبوة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ت٢٠٠٢، ص٢٠٣.
[2] - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٤٢.
[3] - نفسه، ص٤٣.
[4] - معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، ص٢٨٦.

ومماثل لهذا الصوت، صوت أم الصريح الكندية، وهي تموج بالأسى والحزن، لأنها فقدت أبناءها مرة واحدة، في إحدى الوقائع الحربية، وتصور أولادها وهم يقبلون على الموت برقابهم غير خائفين، ولا يفرون من ميدان المعركة، ومع أنهم لو هربوا منه سيكونون أعزة، ولكن شجاعتهم وبأسهم تحول دون ذلك، وتُملي عليهم غير ذلك، فيرون أن الصبر على الموت، وعدم الفرار أكرم، فتقول في نعيهم:([1])[الطويل]

أبو أن يفرُوا والقنَا في نحورهم ولم يرتقوا من خشيةِ الموتِ سلمًا ولو أنهم فروُا لكانوا أعزةً
ولكن رأوا صبرًا على الشهادةِ أكرمَا

وقالت امرأة من بني أسد ([2]):[الطويل]

خليلي عُوجا إنَها حاجةٌ لنا على قبرِ أهبان سقتهُ الرواعد

تخاطب صاحبين لها تسألهما التعرج على قبر أهبان زائرين له، ومجددين العهد به، وقولها سقته الرواعد دعاء للقبر بالسقيا، والرواعد: السحاب التي فيها الرعد، وقولها إنها حاجة لنا حشو واعتراض، وقد وقع موقعًا حسنًا، وفيه استعطاف للمخاطبين واستلطاف فيما تكلفهما، ويقال: ما عند فلان تعويج عليهم، أي تعريج. وعجنا بالمكان أشد العياج والعوج، أي عطفنا.

فثم الفتى كلُ الفتى كانَ بينه وبين المُرجى نفنف متباعد

قولها كل الفتى مفيد للتأكيد، وجامع أسباب القوة كلها للموصوف، فكأنها قالت: ثم الفتى التام الفتوة حتى لم يغادر شيئًا من متعلقاتها وأسبابها.

والأمر كذلك بالنسبة للسلكة أم السليك، التي بلغها نبأ وفاة ابنها فقلت ترثيه :([3])[مجزوء المديد]

طافَ يَبغي نجوةً من هلاكٍ فَهَلَك
لَيت شِعري ضلّةً أيّ شيءٍ قَتَلك
أمريض لم تُعَد أم عدوٌ خَتَلَك
وَالمَنَايا رصدٌ لِلفَتى حَيثُ سَلَك
أيّ شيءٍ حسن لِلفَتى لم يكُ لك
كلّ شيءٍ قاتلٌ حينَ تلقى أجَلَك

فأم السليك تتمنى أن تعرف أي شيء أهلك ولدها؛ فهي في حيرة، أهو المرض، أم الأعداء، وهي في النهاية تُقر بحقيقة يسلم بها الناس، أنه إذا أتى أجلك فستستوي أسباب الموت، وكأي أم ترى ولدها أفضل الناس، وتصفه بأنه كان جامعًا للمحاسن، فكل الصفات الكريمة الحسنة كانت تزينه.

وقالت أعرابية من بني عبد ود، وكان خالد بن الوليد قدم عليهم ليحطم ودًا -وهو صنم لهم- فقاموا يدرؤون عنه فضرب خالد فتى منهم فقتله فقالت أمه تبكيه، وتتمنى أنها ما ولدته؛ لكي لا تُفجع فيه في يوم كهذا، وتصور مدى سواد الحياة بعد ابنها؛ فهي لا تتوقع العيش بدونه، وترى أن أجلها آتٍ لا محالة بعده، فتقول :([4])[البسيط]

يا قرحة القلبِ والأحشاءِ والكبدِ يا ليتَ أمّكَ لم تحبلْ ولم تلِدِ
لمّا رأيتُكَ قد أُدرجْتَ في كفنٍ مطيّبًا للمنايا آخر الأبَدِ
أيقنتُ بعدكَ أني غير باقيةٍ وكيف يبقي ذراعٌ زالَ عن عضدِ

---

[1] - المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ت غريد الشيخ، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م، ص٦٥٨.
[2] - نفسه، ص ٦٨٩.
[3] - شرح ديوان الحماسة، ص٦٤٧.
[4] - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص١٢٧.

وإذا كانت المرأة رثت زوجها الذي هو حصن أمانها، وولدها الذي هو روحها الثانية، فإن أخاها هو عضدها الذي لن تستطيع المجيء بمثله، وعنوان عزتها، والذي تلجأ إليه عندما يهينها زوجها، كما فعلت الزهراء -أخت كليب- عندما لطمها لبيد بن عنبسة-زوجها-على وجهها عندما قالت له: ما أعرف أعز من كليب، فقام وائل بن ربيعة-كليب-بقتل لبيد؛ ليثأر لأخته. ([1])

ومن ذلك ما نظمته الخرنق بنت بدر-أخت طرفة بنت العبد من أمه-عندما بلغها خبر مصرع أخيها فقالت ترثيه :([2])[الطويل]

عددنَا له خمسًا وعشرين حجةً ... فلما توفاهَا استوى سيدًا ضخمًا

فُجِعنَا به لما انتظرنَا إيابهُ ... على خيرِ حينٍ لا وليدًا ولا قحمًا

وهي ترثي أخاها عندما قتله عمرو بن هند، فقد قتله وهو ابن خمس وعشرين سنةً، وقُتل في هذا السن وكان سيدًا في قومه شريفًا، فتوجعنا لما انتظرنا عودته من البحرين على خير، لا بالصغير ولا بالكبير المسن.

وعندما نذهب إلى سُعدى بنت الشمردل في رثائها لأخيها أسعد بن مجدعة، وقد قتلته بهز من بنى سليم بن منصور، وجدناها تبدأ نظمها بالحوادث التي روعتها وأخافتها، وجعلتها تقضي ليلها مسلوبة النوم، وأصبحت وحيدة منفردة فتقول :([3]) [الكامل]

أمنَ الحوادثِ والمنون أروعُ ... وأبيتُ ليلي كلهُ لا أهجعُ

وأبيتُ مُخْلِيَةً أبكِي أسعدًا ... ولمثلِه تَبكي العيونُ وتَهمَعُ

غير أن عزاها، لم يغنها عن التوجع؛ لفقدها أخاها، فقد جمع من الصفات الخلقية، مما جعلها غير قادرة على نسيانه:([4])

جادَ ابنُ مجدعة الكميُ بنفسهِ ... ولقدْ يرَى أن المكرَ لأشنَعُ

ويلُمَهِ رجلًا يُليدُ بظهرهِ ... إبلًا ونسالُ الفيافِي أروعُ

يردُ المياهَ حضيرةً ونفيضةً ... وردَ القطاةِ إذا اسْمألَ التبعُ

تسهب الفارعة بنت شداد في صفات أخيها الذي قُتل، وتذكر مناقبه الحميدة كالشجاعة، والفروسية، فضلًا عن الكرم، وبلاغة اللسان، حيث تقول:([5])[البسيط]

شَهادُ أنديةٍ رفاعُ أبنيةٍ ... شدادُ ألويةٍ فتاحُ أسدادِ

قوالُ محكمةٍ نقاضُ مبرمةٍ ... فتاحُ مبهمةٍ حباسُ أورادِ

وهذه صفية الباهلية تندب أخاها، فهما كغصنين طالا في كمال، وبقيا يزدادان على أحسن ما تزدان له الأشجار فتقول :([6])[البسيط]

كُنّا كَغُصنَينِ في جُرثومَةٍ بَسَقا ... حيناً عَلى خَيرِ ما يُنمى لَهُ الشَجَرُ

حَتّى إذا قيلَ قَد طالت عُروقُهُما ... وَطابَ غَرسُهُما وَاِستَوسَقَ الثَمَرُ

وهذه امرأة من كندة تنعي قتيلًا لها، وتستهل حديثها بالسخرية بأمر قومها بعدم إخبار الناس بالأمر العظيم الذي فعلوه، ألا وهو تسليمهم سيدهم للقتل دون مقاومة، وكان سيدهم من الفضل بمكانة

---

[1] -يُنظر تفاصيل القصة في الأغاني، الأصفهاني، أبو الفرج، شرحه وكتب هوامشه: الأستاذ سمير جابر، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢٠، ص١٩، ١٨.

[2] -الخرنق بنت بدر بن هفان، ديوانها، ت حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، ٢٠٢٠م، ص ١٩،٢٠.

[3] -الأصمعي،أبو سعيد، عبد الملك بن قريب، الأصمعيات، ت: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، مصر، دار المعارف، ط٧، ١٩٩٣م، ص١٠٢،١٠١.

[4] - نفسه، ص١٠٢.

[5] - عبد البديع صقر، شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي، ١٩٦٧م، ص٢٩٢.

[6] -شرح ديوان الحماسة، ص٦٩٩.

كبيـرة؛ فهـو لـم تطلـع الـشمس يومًـا مـن الـدهر عليـه، إلا وهـو مُـضر لأعدائـه، مكـرم لأهلـه فتقول:([1])[البسيط]

لا تخبروا النّاس إلاّ أنّ سيّدكم ... أسلمتموه ولو قاتلتم امتنعا أعني فتىً لم
تزل الشمسُ طالعةً ... يومًا من الدّهر إلاّ ضرّ أو نفعا

وتدعو الفارعة بنت معاوية القشيرية على قتلة أخيها-قدامة-الذي لقي حتفه يوم النسار، وهو يوم من أيام العرب فتقول، ثم تتغنى بصفاته؛ فهو لم يكن له شبيه في الفتيان :([2])[المتقارب]

شفى الله نفسي من معشر ... أضاعوا قدامة يومَ النسار
أضاعوا فتىً غيرَ جَثّامةٍ ... طويلَ النجادِ بَعيدَ المغار

وحديثها قريب من حديث الخنساء عندما فُجعت في أخويها-صخر ومعاوية-وبكتهما حتى جفت عيناها من البكاء، وقد ملأت الدنيا انتحابًا ودموعًا وعويلًا، وأطالت ذكرهما في قصائدها فتقول في أخيها صخر :([3])[المتقارب]

أعينيّ جودا ولا تجمُدا ... ألا تبكيانِ لصخرِ النّدى
ألا تبكيانِ الجواد الجميلَ ... ألا تبكيانِ الفَتى السيّدا

فهي تطلب من عينها ألا تكف عن البكاء وأن تجود بدموعها كما يجود الغني بماله على الفقير، فالقتيل هو صخر أخوها وسيد قومها، ثم تتطرق بعد ذلك لتعدد محاسنه عن طريق الكناية، فتصفه بالشجاعة، وأنه طويل كطول حمالة السيف، وعظيم المكانة في قومه، وكثير حرق الحطب، مما يعبر عن إسهابه في إكرام ضيوفه:

طويلَ النّجادِ رفيعَ العماد ... سادَ عَشيرَتَهُ أمرَدا

وإذا القوم بذلوا جهدهم وكلفوا أنسفهم فوق طاقتهم للوصول للمجد، مد يده أيضًا؛ فهو لا يتخلف عن مواطن العزة والكرم والشرف والندى، وينال ما لا يقدر القوم على نيله، فيصبح فوقهم وأعلاهم، ويكلفه قومه ما لم يقدروا عليه، وما خرج عن استطاعتهم فيكون له كفؤًا، على الرغم من حداثة سنه فتقول :([4])

إذا القوْمُ مَدّوا بأيديهم ... إلى المَجدِ مدّ إليهِ يَدا
فنالَ الذي فوْقَ أيديهم ... من المجدِ ثمّ مضَى مُصْعِدا
يُكَلّفُهُ القَوْمُ ما عالهُمْ ... وإنْ كانَ أصغرَهم موْلِدا

وتندب ناجية بنت ضمضم هي الأخرى أخاها، وتصور أخاها وهو يلبي داعي الموت حين دعاه، وتنوح على هلاكه بقلب مفجوع، ثم تذهب إلى تعدد محاسنه، وأنه كان معطاءً كريمًا فتقول:([5])[الطويل]

دعتهُ المنَايَا دعوةً فأجابَهَا ... وجاورَ لحدًا خارجًا في الغماغمِ
فإنْ يكُ غالتْهُ المنايَا وريْبُهَا ... فقدْ كانَ معطاءً كثيرَ التراخمِ

وترثي تماضر بنت الشديد السلمية-زوجة زهير بن جذيمة ملك غطفان العبسي-ولدها الذي قُتل في حرب داحس والغبراء، فهي تصور عينها وقد أُنهكت من البكاء عليه، بسبب الحزن الذي نال

---

[1] -نفسه، ص٦٨٨.
[2] -المزرباني، أبو عبيد الله، محمد بن عمران، أشعار النساء، ت: سامي مكي العاني، وهلال ناجي، دت، ص٦٧.
[3] - الخنساء، تماضر بنت عمر بن الشريد، ديوانها، شرح حمد طماس، لبنان، بيروت، دار المعرفة، دت ، ص٣١.
[4] -نفسه، ص٣١.
[5] -شاعرات العرب في عصر النبوة، ص١٨٥.

منها فجأة لمقتل ولدها، وقد كان أحسن الناس وأبهاهم، وبفقده فقدت عبس فتاها وفارسها، فتقول :([1])[الوافر]

كَأنّ العين خالطها قَذاها ... لحزنٍ واقعٍ أفنى كراها
عَلى ولدٍ وَزين الناس طرّاً ... إذا ما النارُ لم ترَ مَن صلاها
لَئِن حَزنت بنو عَبسٍ عليهِ ... فَقَد فَقدت بهِ عبسٌ فتاها
فَمَن لِلضّيفِ إن هبّت شمالٌ ... مُزعزعةٌ يُجاوبها صَداها

ومن ذلك أيضًا رثاء المرأة لأبيها، كما فعلت أم حكيم حيث ألزمت مقلتيها بسكب الدموع على أبيها الذي ساد قومه؛ بحسن فعاله، وهي تطلب من عينها عدم الكف والتوقف عن البكاء، وكأنها ستظل تبكيه طوال حياتها، وتسعد ببكائها عليه، لما له من فعال عظيمة فتقول:([2])[الوافر]

ألا يا عين جودي واستهلّي ... وبكّي ذا الندى والمكرُمات
ألا يا عينُ ويحَك أسعديني ... بدَمعِك من دموعٍ هاطِلاتِ
وبَكّي خيرَ من ركبَ المطايا ... أباكِ الخيرَ تيّارَ الفراتِ

وكلام عاتكة في رثائها لأبيها ليس ببعيد عن أم حكيم، فتكاد تكون قد تناولت المعاني نفسها التي ذهبت إليها في قصيدتها في قولها :([3])[المتقارب]

أعينَيَ جُودَا ولا تَبخَلَا ... بدمعِكُمَا بعدَ نومِ النيامِ
عَلى الجحفلِ الغمرِ في النائباتِ ... كريمِ المساعِي وفي الذمامِ

فهي لا تكتفي بالبكاء عليه في نهارها فقط، بل تطلب من عينها عدم التوقف عن البكاء ليل نهار لعظم ومكانة المفقود.

وترثي سلمى ابنة مالك بن بدر الذبيان أباها، وقد قُتل في حرب داحس والغبراء، فتذهب للتعديد بمحاسنه وأن الدنيا لا تجود بمثل مالك كثيرًا، ولا ترى العين فارسًا في شجاعة مالك، فتقول :([4])[الطويل]

وللّه عينا مَن رأى مثلَ مالكٍ ... عَقيرةَ قومٍ إن جرى فرسان فَلَيتَهما لم يَشربا قطُّ قطرةً
وَلَيتَهما لم يَجريا لرهانِ

ولم تقتصر المرأة على رثائها على ذويها فقط، بل بكت قومها أيضًا، كشأن ريطة بنت عاصم، التي فُجعت في أبناء عشيرتها الذين هلكوا في سبيل الدفاع عن الديار، فتقول:([5])[الطويل]

وَقَفتُ فَأبكَتني بدارِ عَشيرَتي ... عَلى رُزئِهنَّ الباكِياتُ الحَواسِرُ
غَدَوا كَسُيوفِ الهندِ وُرّادَ حَومَةٍ ... مِنَ المَوتِ أعيا وِردَهُنَّ المَصادِرُ
فَوارسُ حامَوا عَن حَريمٍ وَحافَظوا ... بدارِ المَنايا وَالقَنا مُتَشاجِرُ

فدعاها ما أصيبت به في عشيرتها إلى الوقوف بدارهم، فشجيت بشجى النساء النوادب الحواسر، حتى بكت لبكائهن على حادث الرزء، واقتفرت آثارهن في الهلع والحزن، وأخذت تصف حال عشيرتها فقالت: ابتكروا وهم في خلقهم وتجردهم، وصفائهم ونفاذهم كسيوف الهند، فوردوا حومة من الموت.

---

[1] -شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٤٤.
[2] - موسوعة شاعرات العرب، ج١، ص٦٩.
[3] -نفسه، ج١، ص٩١.
[4] - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٤٥.
[5] -شرح ديوان الحماسة، ص٧٧٢.

ومن ذلك قول ذبية بنت بيشة الفهمية التي رثت قومها الذين قتلوا يوم (صورة)، فتصور دموعها وقد نفذت وأقفرت جفونها؛ لبكائها عليهم، فالذين قتلوا يومها كانوا كرامًا، عظامًا، يكرمون الضيف، ويقرون القرى، فتقول:([1])[الطويل]

ألا إن يومَ الشر يومٌ بصورةِ ... ويومُ فناءِ الدمع لو كانَ فانيًا
لعمري لقدْ أبكتْ قريمٌ وأوجعوا ... بجرعةِ بطنِ الفيلِ من كانَ باكيًا
قتلتمُ نجومًا لا يُحولُ ضيفُهم ... ولا يذخرونَ اللحمَ أخضرَ ذوايَا

وتبكي أمامة بنت ذي الأصبع العدواني، على قومها الذين أبيدوا وهلكوا، وكانوا ملوكا وسادة، ومفاخرهم على مر الدهر أكبر من أن تحصى، وتتحسر على ما وصلوا إليه؛ بسبب القتل الذي أفناهم فقالت :([2])[السريع]

لقد لقيتْ فهمٌ وعدوانُها ... قتلًا وهلكًا آخرَ الغابرِ
كانوا ملوكًا سادةً في الذرى ... دهرًا لها الفخرُ على الفاخرِ
بادوا فمن يحلُلْ بأوطانِهم ... يحلُلْ برسمٍ مقفرٍ داثرِ

وقول عاصية البولانية -بولان حي من طي- قالت ترثي قومها الذين قتلوا في غزاة، -وقد سقطوا بأيدٍ خسيسة- فهي مثل من سبقها من الشواعر، تطلب من عشيرتها أيضًا أن تجود بالدمع الغزير على المحاربين الذين زادوا عن القبيلة، ودافعوا عنها، وكانوا فيها نجومًا وسادة، فتقول: ([3])[الطويل]

أعاصي جودي بالدموع السواكبِ ... وبكّي لكِ الويلاتُ قتْلى محاربِ
فلو أن قومي قتلتْهُمُ عمارةٌ ... من السراواتِ والرؤوسِ الذوائبِ
صبرنا لِما يأتي به الدهرُ عامدًا ... ولكنما أثآرُنا في محاربِ

ومن اللاتي أصابهن الدهر بنوائبه سبيعة بنت عبد شمس التي فقدت قومها، فغدت وحيدةً منكسرةً، لا يعزيها شيء، ولا يخفف من روعها وبكائها سوى النحيب على قومها؛ لأنهم عزها، وهم من تركن إليهم في المصائب، ومجدها الذي تفخر به بين القبائل، وحصنها المنيع إذا أغار عليها غائر، تقول :([4])[مجزوء الوافر]

ألا يا عينُ فابكيهم ... بدَمعٍ منكِ مُستَغرب
فإن أبكي فهُم عزّي ... وهُم رُكني وهُم منكِب
وهم أصلي وهُم فرعي ... وهم نسبي إذا أُنسَب
وهم مجدي وهُم شرفي ... وهم حصني إذا أُنسَب
وهُم رمحي وهُم تُرسي ... وهُم سيفي إذا أغضَب
وكم من ناطقٍ فيهم ... خطيبٍ مصقَعٍ مُعرِب

وأما ذبية الفهمية، فإن أسوء أيام الدهر عندها، يوم قُتل قومها، وكانوا نجومًا في سمائهم، فكان يقرون الضيف، ويجودون بأفضل ما عندهم، فهي تبكي بسبب تهدم أركان قومها وقبيلتها، فتقول :([5])[الطويل]

قتلتمُ نجومًا لا يُحولُ ضيفُهم ... ولا يذخرونَ اللحمَ أخضرَ ذوايَا

---

[1] - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٧٧.
[2] -الأغاني، ج٣، ص١٠٣.
[3] - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٧١.
[4] - رغداء ماريديني، شواعر الجاهلية، سوريا، دمشق، دار الفكر، دت، ص ٢٦٤.
[5] -عبد البديع صقر، شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي، ١٩٦٧م، ص١٢٣.

عمادُ سمائي أصبحتْ قدْ تهدمتْ فخِري سمائي لا أرى لك بانيا

ويتضح مما سبق أن المرأة في العصر الجاهلي عبرت عن حزنها بفقدها ولدها وزوجها وأبيها وأخيها، بل عبرت عن ألمها بما يحدث لقبيلتها وفرسانها الشجعان، ويظهر صوت البكاء والنحيب في شعرها، ويعد الرثاء هو أكثر غرضٍ تناولته المرأة في هذا العصر، وذلك بما يتفق مع طبيعتها في المجتمع.

المبحث الثاني: الرثاء في شعر النساء في صدر الإسلام.

فلما جاء الإسلام بنور الوحي هدم ما كان من عصبية في العصر الجاهلي؛ فنالت المرأة نصيبًا كبيرًا من المشاركة في الحياة الأدبية "لم تقتصر العناية بالأدب، في عصر صدر الإسلام، على الرجال وحدهم، فقد نبغ من النساء، عدد ضربن بسهم وافر في العلم، وكن أمثلة تُحتذى في قوة البيان، وفصاحة اللسان، والشعر الجزل"([1])

إن أعظم مُصاب أُصيبت به الأمة إلى يوم القيامة هو موت سيد البشر-محمد صلى الله عليه وسلم- فلم تفقد الأمة أحدا مثلما فقدت نبيها، ولا مثله حتى القيامة يُفقد، ولما مات النبي انحرفت السيدة فاطمة إلى قبر النبي-صلى الله عليه وسلم-وهي تقول: [البسيط]

قَد كانَ بَعدكَ أنباءٌ وهنبثة لَو كنت شاهدها لَم تكثر الخطبُ
إنّا فَقَدناكَ فَقدَ الأرضِ وابلِها وَاختلّ قومكُ فَاشهدهم ولا تغبُ
فَلَيت قبلكَ كانَ الموتُ صادفنا لما نعيتَ وَحالت دونك الكتبُ

قال فما رأينا يومًا كان أكثر باكيًا ولا باكيةً من ذلك اليوم. ([2])

ومن اللواتي تحسرن على فقد الرسول أم أيمن في قولها :([3])[الخفيف]

حين قالوا الرَّسولُ أمسى فقيداً ميّتاً كانَ ذاك كلّ البلاءِ
فلقد كانَ ما علمتْ وصولًا ولقدْ جاءَ حمةً بالضياءِ
ولقدْ كانَ بعدَ ذلك نورًا وسراجًا يُضيء في الظلماءِ

ونلتمس ذروة الحزن على فقد سيد الأنام، عند السيدة فاطمة -ريحانة أبيها كما أخبر عنها أبوها-، فتصدعت من حزنها من القلوب، في قولها :([4])[الكامل]

قُل للمغيّب تحتَ أطباقِ الثّرى إن كنتَ تسمعُ صَرخَتي وَنِدائِيا
صبّت عَليّ مَصائبٌ لو أنّها صُبّت عَلى الأيّام صِرنَ لياليا
قَد كنتُ ذاتَ حِمى بظلٍّ محمّدٍ لا أخشَ مِن ضيمٍ وكان جماليا

ومن مُصاب أم المؤمنين-عائشة بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهما -في وفاة أبيها فدمعها يفنى ولا يتبقى لها في النهاية سوى الهموم والأحزان فتقول :([5])[الخفيف]

إنّ ماءَ الجفونِ ينزحه الهمّ وَتَبقى الهمومُ والأحزانُ
لَيسَ يَأسو جوى المُرزّاء ماءٌ سَفحتهُ الشؤونُ والأجفانُ

---

[1] - علي إبراهيم حسن، نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، دت، ص٧٥.

[2] - ابن طيفور، أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٣٢٦هـ، ١٩٨٠م، ص ١٨.

[3] -ابن سيد الناس، منحُ المدح، تح: عفت وصال حمزة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م، ص٣٣٧.

[4] - السيدة فاطمة الزهراء، ديوانها، تح: حيدر كامل، ومحمد شراد حساني، لبنان، بيروت، منشورات دار البحار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م، ص٨٥.

[5] - بلاغات النساء، ص ٧.

وتعبر صفية بنت عبد المطلب في رثائها لابن أخيها الرسول - صلى الله عليه وسلم – عن حزنها الذي خلفه فقده، فصورة غياب وفقد المصطفى صورة حزينة، فتطلب من عينها صب الدموع؛ حزنًا على النبي، فتقول :([1])[الطويل]

لفقد رسول الله إذ حانَ يومه فيا عينِ جودي بالدُموع السواجم

ومن قول عاتكة في رثاء زوجها الثاني-عمر بن الخطاب- عندما قُتل على يد أبي لؤلؤة المجوسي، واستهلت كلامها كما فعلت الشاعرات الأخريات بطلبها من عينيها البكاء على فقيدها، وألا تمل من البكاء؛ لأن الفارس المقتول هو أمير المؤمنين، فهو ناصر الضعفاء ومعينهم على حالهم، وهو كالمطر في العطاء بالنسبة للمحروم، فقالت تبكيه :([2])[الخفيف]

عينُ جودي بعبرةٍ ونحيب لا تملّي عَلى الأمين النجيبِ

فَجَعتني المنونُ بالفارسِ المع لمِ يومَ الهياجِ والتثويبِ

عصمةُ الناسِ وَالمعينُ على الده رِ وَغيثُ المحرومِ والمحروبِ

قُل لأهلِ الضراءِ وَالبؤسِ موتوا قَد سَقته المنون كأس شعوبِ

ومن ذلك ما قالته حفصة بنت عمر في أبيها-عمر بن الخطاب- فهي تكتم وحشة قلبها، وتعزي نفسها بالقرآن، وأن قتل أبيها جاءهم بغتةً، ثم تختم كلامها متأثرة بالقرآن الكريم؛ مؤكدة على حقيقة لا تقبل الشك، ألا وهي أن ميعادنا جميعًا لا بد للفناء، فتقول:([3])

أكظم الغُلة المخالطة القلب وأُعَزى وفي القرآنِ عزائِي

لمْ تكنْ بغتةً وفاتك وحدًا أنْ ميعادَ منْ ترى للفناءِ

ومما نظمته عاتكة بنت نفيل في زوجها الأول عبد الله بن أبي بكر الصديق -رضي الله عنهما-، وكان قد شهد الطائف فرمُي بسهم أبي محجن الثقفي فمات سنة ١١ه:([4]) [الطويل]

فَللّه عينا مَن رَأى مثلهُ فتىً أكرّ وَأحمى في الهياج وَأصبرا

إذا أُشرعت فيهِ الأسنّة خاضَها إلى الموتِ حتّى يترك الرمحَ أحمرا

وَآليتُ لا تنفكّ عيني حزينةً عَليكَ وَلا ينفكّ جلدي أغبرا

مَدى الدّهرِ ما غنّت حَمامة أيكةٍ وَما طَرد الليل الصباح المنوّرا

رُزئت بخيرِ الناسِ بعدَ نبيّهم وَبعدَ أبي بكر وما كانَ قصّرا

فهي تشكل صورتها الرثائية من كم الدموع التي تذرفها إزاء الحدث الجلل الذي ألم بها، فهي لوحة بكاء أولا، وثانيا بكاء قد يطول أمره فلا يعرف انتهاء، وثالثا: نرى مظاهر الكون مطوعة لهذا البكاء مع تخالف الليل والنهار، ومع الترنيمة الحزينة الكئيبة للحمامة على أيكها، ثم هي لوحة الذكرى التي يسيطر عليها عالم الفروسية، وشجاعة الميت في ميادين القتال، فهو فارس لا يهاب الموت، يعرف كيف يقتحم الحروب.

وهذه نائلة بنت الفرافصة-زوج عثمان بن عفان- وحظيت عند عثمان رضي الله عنه بمكانة كبيرة، وكانت له محبة، حتى إنه لما قتل على يد الخوارج اتقت سيف ضاربه بيدها فقطع إصبعين من أصابعها.

وبعد مقتل عثمان رثته بهذين البيتين: ([1])[الطويل]

---

[1] - زايد مقابلة، عمات الرسول، الأردن، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م، ص ٩١.

[2] -شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص١٦٨

[3] -بلاغات النساء، ص ٣٠.

[4] - البَصْري، صدر الدين، علي بن أبي الفرج بن الحسن، الحماسة البصرية، بيروت، عالم الكتب، تح: مختار الدين أحمد، ج١، ص٢٠٢، ٢٠٤.

ألا إنْ خيرَ الناس بعدَ ثلاثةٍ قتيلُ التجيبي الذي جاءَ مِنْ مصر
وما لي لا أبكي وتبكي قرابتي وقد غُيبت عنا فصولُ أبي عمرو

وهي تقصد بالثلاثة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وأبا بكر وعمر وعثمان ثالثهم، وقتيل التجيبي هو أحد قتلة عثمان، وهي لا تستنكر على نفسها وأقاربها البكاء على شهيد الإسلام الذي قُتل في بيته.

وتذهب ليلى الأخيلية إلى بكاء عثمان بن عفان، وتستنكر أن ترى الخير أمته بعد فقده، ويتجلى في أبياتها أثر القرآن الكريم، فتقول :([2])[البسيط]

أَبَعْدَ عُثْمانَ تَرْجُو الخَيْرَ أُمَّتُهُ وكانَ آمنَ مَنْ يَمْشِي على ساقِ
خَلِيفَةُ اللّهِ أعْطاهُمْ وخَوَّلَهُمْ ما كانَ مِنْ ذَهَبٍ جَمٍّ وأوْراقِ
فلا تُكَذِّبْ بوَعْدِ اللّهِ وارْضَ بهِ ولا تُوكِّلْ عَلى شَيْءٍ بإشْفاقِ
ولا تَقُولَنْ لشَيءٍ سَوْفَ أفْعَلُهُ قد قَدَّرَ اللّهُ ما كلُّ امْرِىءٍ لاقِ

وتبكي المرأة ولدها، وفلذة كبدها، كما فعلت جويرية بنت خالد بن قارض، حيث قالت :([3])[البسيط]

يا من أحسّ بابنيّ اللّذين هُما كالدرّتين تَشظّى عنهُما الصدف
يا مَن أحسّ بابنيّ اللّذين هما سَمعي وَقلبي فَقَلبي اليوم مزدهف
يا مَن أحسّ بابنـيّ اللّذين هما مخّ العظامِ فمخّي اليوم مختطف

فتكرارها يبين مدى الفاجعة والنكبة التي حدثت لها بمقتل ابنيها فولدها عندها كان كالدرة، فهو سمعها وبصرها، فتخطفته سهام الموت، وتمكنت الشاعرة من تصوير ما يعتريها من ألم بصورة عظيمة، حتى استحقت ثناء الرافعي عليها إذ يقول: "ولا أبلغ في البلاغة، ولا أحسن حكاية لصوت البكاء والندب من قولها بانيي فهاتان الياءان المشددتان، تعصران الدموع عصرًا، وتصوران غصص العبرات، مترددة في حلق الباكية، أبدع تصوير". ([4])

وهذه زينب بنت العوام، فهي وإن تطهر قلبها من الجاهلية، فإن لغتها الشعرية ما زالت تسلك مسلكهم، فهي تخاطب عينها، وتطلب منها عدم الكف عن البكاء، كما كانت تفعل الخنساء في الجاهلية، وتتوعد القاتلين بالنار؛ لأنهم فتكوا برهط النبي، فتقول :([5])[الطويل]

أعينيَ جُودَا بالدموع فأسرعَا على رجُل طلق اليدين كريم
قتلتُمْ حواري النبي وصِهرهُ وصاحِبهُ فاستبشرُوا بجَحيمِ
وأيقنتُ أنَ الدينَ أصبحَ مدبرًا فَمَاذَا تُصَلي بَعدهُ وتِصُومِي

وقالت فاطمة بنت الأحجم الخزاعية- من صحابة الرسول-تبكي قومها، وتطلب من عينها أن تكثر البكاء عليهم، وقولها جودي بأربعة: أي جودي بدمعك كله ولا تدخري منه شيئا، فتقول:([6])[الكامل]

يا عينُ بكي عندَ كل صباح جودي بأربعةٍ على الجراح
قدْ كنت لي جبلًا ألوذُ بظلهِ فتركتني أضحى بأجرد ضاح

---

[1] -شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص١٥٤.
[2] -نفسه، ص١٥٠.
[3] -المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٨١م، ج٣، ص٢٢
[4] - مصطفي صادق الرافعي، تاريخ آداب العرب، القاهرة، دار الجوزي، ٢٠٠٩م، ج٣، ص٧١.
[5] -شاعرات عصر النبوة، ص١١٤.
[6] -شرح ديوان الحماسة، ص٦٤٢.

وفجيعة سكينة بنت الحسين-زوجة مصعب بن الزبير- لما قُتل زوجها أخذت تعدد في مناقبه، فهو لا يرى للموت طعمًا على الفراش، بل لا يرى الموت إلا بين السنان، وتنوه لمقتل أبيها من قبله الذي خاض طريق الموت، فقالت :([1])[الطويل]

فَإِنْ تَقْتُلُوهُ تَقْتُلُوا الْمَاجِدَ الَّذِي ... يَرَى الْمَوْتَ إِلا بِالسُّيُوفِ حَرَامَا
وَقَبْلَكَ مَا خَاضَ الْحُسَيْنُ مَنِيَّةً ... إِلَى السَّيْفِ حَتَّى أَوْرَدُوهُ حِمَامَا

وقالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ترثي عليًا، وتصور مدى حزنها بانسكاب عينها بالدموع على من يستحقها، ألا وهو أمير المؤمنين -علي بن أبي طالب، وتمدحه بكونه من خير من ركب المطايا، فهو الفارس المغوار، وله من الجمال ما يفوق البدر حسنًا، فلا أحد ينكر فضل علي في الإسلام، وعبادته ومواقفه، وتستنكر على أعدائه أنهم نالوا من أحسن الناس في الشهر الحرام، فتقول :([2])[الوافر]

ألا يا عينُ ويحكِ فاسعدينا ... ألا فابكي أميرَ المؤمنينا
رُزِئْنا خيرَ مَنْ رَكِبَ المَطايا ... وفارسَها وَمَنْ رَكِبَ السفينا
ومَنْ لبسَ النعالَ ومَنْ حَذاها ... ومَنْ قرَأَ المثاني والمئينا
فكلُّ مَناقبِ الخيْراتِ فِيهِ ... وحُبُّ رَسولِ ربِّ العالمينا
إذا استقبلتَ وجْه أبي حُسَيْن ... رَأيتَ البَدْرَ رَاقَ الناظرينا
فلا واللهِ لا أنسَى عَلِيّاً ... وحُسْنَ صَلاتِهِ في الرّاكعينا
أفي الشهرِ الحرامِ فجعتمونا ... بخيرِ الناسِ طرًا أجْمعِينا

وتسلك أم البراء بنت صفوان-من شيعة الإمام علي-مسلك الشاعرة السابقة في رثائها له، وتصور مدى هول المصيبة التي أصيبوا بها لما مات الإمام، حتى الشمس جزعت لفقد الإمام فكسفت؛ فهو خير الناس، ومن أحسن من سار فوق الثرى، فتقول: [الكامل]

يا للرجالِ لعظمِ هول مصيبته ... قُدحت فليس مصابُها بالهازلِ
الشمسُ كاسفةٌ لفقدِ إمامِنا ... خيرُ الخلائقِ والإمامِ العادلِ
يا خير منْ ركبَ المطايَا ومنْ مشى ... فوقَ الترابِ لمتحفٍ أو ناعلِ
حاشَا النبي قدْ هددت قواءَنا ... فالحقُ أصبحَ خاضعًا للباطلِ

فقال معاوية قاتلك الله يا بنت صفوان ما تركت لقائل مقالا"([3])

ومن بديع الرثاء في الإمام على أيضًا، ما نظمته سودة بنت عمارة -رحمها الله- فهي ترى أن العدل قد تم دفنه بدفن الإمام علي في قبره، وكان لا يستبدل بالحق بدلًا، فصارت حياته عامرة بالحق والإيمان معًا فأطرقت تقول :([4]) [البسيط]

صَلّى الإلهُ على جسمٍ تضمنهُ ... قبرُ فأصبحَ فيهِ العدلُ مدفونًا
قدْ حالفَ الحقَ لا يبغِي بهِ بدلًا ... فصارَ بالحق والإيمانِ مقرونًا

وهذه أم سنان بنت خيثمة بن خرشة -من أنصار الإمام على- وكانت تحث عليًا، وتقف في صفه في حربه على معاوية بن أبي سفيان، فلما مات علي أخذت ترثيه، وتعدد مناقبه وأنه كان خلفًا لسيدنا محمد-صلى الله عليه وسلم- فأصبحنا اليوم لا نرى أحدًا يستحق أن يخلفه، فتقول :([5])[الكامل]

---

[1] - شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ١٧١.
[2] -بلاغات النساء، ص٣٥.
[3] - بلاغات النساء، ص٧٩.
[4] -نفسه، ص ٣٦.
[5] - نفسه، ص ٧٩.

أما هَلكت أبا الحسين فلم تَزَل بالحقّ تعرف هادياً مهديّا
فَإذهَب عليكَ صلاةُ ربّك ما دعَت فَوقَ الغُصون حمامةٌ قُمريّا
قَد كنتَ بعد محمّدٍ خَلَفاً كما أوصى إليكَ بِنا فَكنت وفيّا
فَاليومَ لا خَلَفٌ نُؤَمِّل بَعدَهُ هَيهاتَ نَمدَحُ بَعدَهُ إنسِيّا

ولم تكن المرأة بمعزل عن المشهد السياسي في عصرها، فهذه عقيلة بنت أبي طالب فهي ترى في تأبينها لقتلى كربلاء فرصة؛ للتشنيع على من استباحوا دماء أهل رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، وتنقل الحديث على لسان النبي معاتبًا لمن أحلوا دماء أهله، فتقول :([1])[البسيط]

ماذا تَقولونَ إن قالَ النَبيُّ لَكُم ماذا فَعَلتُم وَأنتُم أفضلُ الأُمَمِ
بعترتي وبأهلِي بعدَ منطلقي مِنهُم أُسارى وَقَتلى ضُرِّجوا بِدَمِ
ما كانَ هَذا جَزائي إذ نَصَحتُ لَكُم أن تَخلِفوني بِسَوءٍ في ذَوي رَحِمِي

ورثاء الرباب- زوجة الحسين بن علي-حين قُتل زوجها في كربلاء، وكان نورًا يُستضاء به؛ فهو سبط النبي، ثم أخذت تعدد في مناقبه، وأنه كان معوانًا لليتامى والمساكين، فإلى من سيأوي اليتامى والمساكين بعده، فتقول: ([2])[البسيط]

إنّ الذي كان نوراً يُستضاءُ به بكَرْبُلاءَ قتيلٌ غيرُ مدفون
سبطَ النبيِّ جزاكَ اللّهُ صالِحةً عنَّا وجُنِّبْتَ خُسرانَ الموازين
قدْ كنتَ لي جَبَلاً صعبًا ألوذُ به وكُنْتَ تصحبُنا بالرُّحْم والدين
منْ لليتامى ومنْ للسائلينَ ومن يُغْنِي ويُؤْوِى إليه كلَّ مسكين

ويتضح أثر الإسلام ومعانيه، حيث نجد الشواعر قد تأثرن بالقرآن والسنة في شعرهم، وما أعده الله من منزلة للشهداء، ومن عظيم النعيم الذي سيتمتعون فيه، ودليل على ذلك قول صفية بنت عبد المطلب في رثاء أخيها حمزة، فتقول: ([3])[الطويل]

دَعَاهُ إلهُ الحَقِّ ذُو العَرْشِ دَعْوَةً إلى جَنَّةٍ يَحْيَا بهَا وَسُرُورِ
فَذَلِكَ مَا كُنَّا نُرَجِّي وَنَرْتَجِي لِحَمْزَةِ يَوْمَ الحَشْرِ خير مصير
فو الله لَا أَنْسَاكَ مَا هَبَّتْ الصِّبَا بُكَاءً وَحُزْنًا مَحْضَرِي وَمَسِيرِي
عَلَى أَسَدِ اللَّهِ الَّذِي كَانَ مِدْرَهَا يَذُودُ عَنْ الْإِسْلَامِ كُلَّ كَفُورِ

أما هند بنت زيد الأنصارية فقد رثت بحزن، وألم حجر بن عدي-أحد أنصار الإمام علي- مُعرضة بمعاوية، فوصفته بالتجبر والظلم، تقول :([4])[الوافر]

ألا يَا حجرُ حجرَ بنِي عدي تلقتكَ السلامَة والسرورُ
أَخَافُ عليكَ ما أردَى عديًا وشَيخًا في دمشقَ لهُ زَئيرُ
يرَى قتلَ الخيارِ عليهِ حقًا لهُ منْ شرِ أُمتهِ وزيرُ
ألا يَا لَيتَ حجرًا ماتَ موتًا ولمْ يُنْحرْ كَمَا نُحِرَ البعيرُ

وهذه عمرة بنت مرداس ابن أبي عامر-أمها الخنساء-تخطو خطو أمها في قرضها للشعر وتكاد تحمل نفس معانيها؛ لأن موقف أمها وما حدث لها يكاد يُعيد نفسه معها، فقد بكت أخويها

---

[1] -ابن قتيبة، عيون الأخبار، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، دت، ص٢١٢.
[2] -شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص١٧٣.
[3] - صفية بنت عبد المطلب، شعرها، محمد وراوي، المغرب، وجدة، منشورات كلية الآداب، ٢٠٠٣م، ص٥٥.
[4] - ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية، ت: عبد الله بن عبد المحسن، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٧م، ج١١، ٦٤١.

وأباها، وابنها الأقيصر بن نشبة، فكأن الدهر قد دار معها وحملها بنفس فجيعة أمها، فتبكي على أخيها العباس بن مرداس، فتقول :([1])[الطويل]

لتبكِ اِبن مرداس عَلى ما عَراهم عَشيرته إذ حُمّ أمس زَوالها
لدى الخصم إذ عندَ الأمير كفاهم فَكانَ إليها فَضلها وَحلالها
وَمُعضلة للحامِلين كفيتها إذا أنهكت هوج الرّياح طلالها

وقالت أيضا تبكي أخاها الآخر يزيد، وتذهب إلى أن الدهر والأيام لم تصبر عليها، وحملتها الكثير من المصائب أكثر مما تطيق، ولم تكن تريد أن تكون كالبعير الذي ينوء متحسرًا، فتقول :([2])[الطويل]

أعينيّ لم أختلكما بخيانةٍ أ َبى الدهرُ وَالأيّام أن أتصبّرا
وَما كنتُ أخشى أن أكونَ كَأنّني بعيرٌ إذا يُنعى أُخيّ تحسّر
أتَرى الخصم زوراً عن أخيّ مهابة وَليسَ جليس عَن أخيّ بأزورا

وقالت أيضًا ترثي ابنها الأقيصر بن نشبة، وكان مات صغيرًا، وتعرض بأخيها شداد لأنه كان شامتًا بموته، فهي ترى في ولدها الصغير أنه كان حصنًا منيعًا، يُكرم ضيوفه، فتقول :([3])[الطويل]

مَن مُبلغٌ عنّي فلاناً رسالةً فَما أنت عَن قول السفاه بمعتبِ
تطيرُ حولِي والبلادُ براقشٌ لأروع طلابِ التراتِ مُطلبِ
فَإن يكُ قَد ولّى الأقيصر وَانقضى بهِ رائبٌ مِن دَهره المتقلّبِ
فَقَد كانَ حِصناً لا يُرام ومعقلاً عَظيم رمادِ القدرِ غير مسبّبِ

ونلتمس معاني روح الإسلام في ندب الجعفية-زوجة عمرو بن معد يكرب الزبيدي- فهي برغم حزنها عليه، إلا أنها تطلب من قومها التضرع إلى الله سبحانه وتعالى، ليمنحهم الصبر، والتماسك، فتقول :([4])[الطويل]

فقلْ لزبيدٍ بلْ لمذحج كُلها فقدتُمْ أبَا ثورٍ سنانَكُمُ غمرا
فإن تَجزعوا لا يغن ذلكَ عنْكُم ولكنْ سَلوَا الرحمن يُعقبكم صبرا

ويظهر أن بعض النساء ظللن متقيدات بالطريقة الجاهلية في الرثاء، رغم أن الإسلام نهى عن حمية الجاهلية والتفاخر، فهذه لبانة بنت الحارث الهلالية، تبكي ابنها خالد بن الوليد، وتعمد إلى تعداد محاسنه ومناقبه وخصاله، فتذكر شجاعته وإقدامه وجوده، وأنه أخير الناس، فتقول :([5])[الخفيف]

أنْتَ خيرٌ منْ ألفِ ألفِ منْ النا سِ إذا مَا كَبَتْ وجوهُ الرجال
أشجاعٌ فأنْتَ أشجعُ مِن ليـْ ـثِ عرينٍ جَهمٍ أبي الأشْبَال
أجَوَادٌ فأنْتَ أجودُ من سيـ ـلِ أتَى يَسيلُ بينَ الجبال

---

[1] -الأغاني، ج١٤، ص٣٠٢.
[2] -شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص ١٩٨.
[3] - نفسه، ص ١٩٩.
[4] -الأغاني، ج١٥، ص١٧٥.
[5] -البداية والنهاية، ج١٠، ص١٣٨،١٣٧.

وهذه قتيلة بنت النظر، تتحسر بشدة على مقتل أبيها، وتبكيه بكاء شديدا، فتقول :([1])[الكامل]

يَا رَاكِبًا إنّ الأُثَيْلَ مَظِنّةٌ مِنْ صُبْحِ خَامِسَةٍ وَأَنْتَ مُوَفّقُ
أَبْلِغْ بِهَا مَيْتًا بأنْ تَحِيةً مَا إنْ تزَالُ بِهَا النجائِبُ تُخفقُ
منِي إليكَ وعبرةً مسفوحةً جَادَتْ لمائِحِهَا وأخْرى تُخنقُ

وتبكي خزانة بنت خالد دون جزع، أو تهويل، شهداء فتوح الحيرة، فتذكر شجاعتهم، وإقدامهم، وأنهم ليوث وقت الحرب قائلة :([2])[الطويل]

أيا عينُ جُودي بالدموعِ السواجمِ فقدْ شُرِعتْ فينا سيوفُ الأعاجمِ
حُزنًا على سعدٍ وعمرو بنِ مالكٍ وسعدٌ مبيدُ الجيشِ مثلُ الغمائمِ
هُمْ فتيةٌ غُرُ الوجوهِ أعزةٌ ليوثٌ لدى الهيجاءِ شعثُ الجماجمِ

مما سبق يظهر أن الرثاء قد انتشر أيضًا بشكل كبير في العصر الإسلامي، وأن الإسلام قد أثر بشكل كبير في الألفاظ والمعاني التي تناولتها شاعرات ذلك العصر، وإن كانت ظلت بعض الشاعرات متأثرة بألفاظ الجاهلية، ولعبت المرأة دورًا كبيرًا في رثاء عظماء هذا العصر-وليس أعظم من الرسول وصحابته-، مواكبة للأحداث والصراعات والغزوات في ذلك الوقت. ويتأكد بذلك الحضور الأنثوي في غرض الرثاء، بل أنها وقفت مواقف مماثلة للرجل، وإن كانت عاطفتها غالبة على عاطفة الرجل في مواقف الحزن، مما ينم عن فصاحتها وقدرتها على إبانة حزنها وبكائها في مجال الشعر.

خاتمة البحث:

سعى الباحث إلى تتبع صورة الرجل المرثي عند شاعرات العرب في الجاهلية وصدر، وقد توصل إلى النتائج الآتية:

١- تعددت الصفات التي تناولتها الشاعرات في الجاهلية والإسلام في رثاء موتاهم، وهي معظمها مستمدة من محامد العرب ومكارمهم.
٢- الطبيعة في شعر المرأة عامل أساسي، وأداة مهمة؛ لرسم الصورة الشعرية.
٣- أثر القرآن الكريم في شاعرات صدر الإسلام، وظهر ذلك من خلال شعرهم.

قائمة المصادر والمراجع

***القرآن الكريم**

١- د: أحمد الحوفي، المرأة في الشعر الجاهلي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، د ط، د ت.
٢- الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني شرحه وكتب هوامشه: الأستاذ سمير جابر، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية.
٣- الأصمعي، أبو سعيد، عبد الملك بن قريب، الأصمعيات، ت: أحمد شاكر وعبد السلام هارون، مصر، دار المعارف، ط٧.
٤- بشر يموت، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، بيروت، المكتبة الأهلية، ١٩٣٤م.
٥- البَصْري، صدر الدين، علي بن أبي الفرج بن الحسن، الحماسة البصرية، بيروت، عالم الكتب، تح: مختار الدين أحمد.

[1] - محمد رضا، موسوعة عظماء الإسلام، اعتنى به: حسان السيد درويش، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م، ص١٣٠.

[2] - رضوان محمد حسين النجار، ديوان النساء العامريات الشواعر في الجاهلية والإسلام، دط، ١٩٨٨م، ص٦١.

٦- الترمذي، محمد بن عيسى، سنن الترمذي، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ١٩٩٦م.
٨- الخرنق بنت بدر بن هفان، ديوانها، ت حسين نصار، دار الكتب والوثائق القومية، ط٢، ٢٠٢٠م.
٩- الخنساء، تماضر بنت عمر بن الشريد، ديوانها، شرح حمد طماس، لبنان، بيروت، دار المعرفة، دت.
١٠- رضوان محمد حسين النجار، ديوان النساء العامريات الشواعر في الجاهلية والإسلام، دط، ١٩٨٨م.
١٢- رغداء ماردیني، شواعر الجاهلية، سوريا، دمشق، دار الفكر، دت.
١٤-زايد مقابلة، عمات الرسول، الأردن، دار يافا العلمية للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨م.
١٥- ابن سيد الناس، منحُ المدح، تح: عفت وصال حمزة، دار الفكر العربي، ١٩٨٧م.
١٦- صفية بنت عبد المطلب، شعرها، محمد وراوي، المغرب، وجدة، منشورات كلية الآداب، د ط، ٢٠٠٣.
١٧- ابن طيفور، أبو الفضل، أحمد بن أبي طاهر، بلاغات النساء، صححه وشرحه: أحمد الألفي، القاهرة، مطبعة مدرسة والدة عباس الأول، ١٣٢٦هـ، ١٩٨٠م.
١٨- عبد البديع صقر، شاعرات العرب، منشورات المكتب الإسلامي، ١٩٦٧م.
١٩- عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شاعرات العرب من الجاهلية حتى نهاية القرن العشرين، دار أسامة للنشر والتوزيع.
٢٠- عبد مهنا، معجم النساء الشاعرات في الجاهلية والإسلام، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م.
٢١-علي الهاشمي، المرأة في الشعر الجاهلي، بغداد، مطبعة دار المعارف، د ط، ١٩٦٠م.
٢٢- علي إبراهيم حسن، نساء لهن في التاريخ الإسلامي نصيب، القاهرة، مطبعة النهضة المصرية، دط، دت.
٢٣- السيدة فاطمة الزهراء، ديوانها، تح: حيدر كامل، ومحمد شراد حساني، لبنان، بيروت، منشورات دار البحار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٢م.
٢٤- ابن قتيبة، عيون الأخبار، لبنان، بيروت، دار الكتاب العربي، دط، دت.
٢٥- القيرواني، ابن رشيق العمدة في نقد الشعر، شرح عفيف نايف حاطوم، بيروت، دار صادر، د ط، ٢٠٠٣.
٢٦- ابن كثير، عماد الدين، البداية والنهاية، ت: عبد الله بن عبد المحسن، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ١٩٩٧م.
٢٧- لويس شيخو: شعراء النصرانية، بيروت، ١٩٣٤م.
٢٨- محمد رضا، موسوعة عظماء الإسلام، اعتنى به: حسان السيد درويش، مؤسسة الريان للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٥م.
٢٩- محمد النوتجي، شاعرات العرب في عصر النبوة، دار المعرفة للطباعة والنشر، ت٢٠٠٢.
٣٠- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، ت غريد الشيخ، لبنان، بيروت، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م.
٣١- المزرباني، أبو عبيد الله، محمد بن عمران، أشعار النساء، ت: سامي مكي العاني، وهلال ناجي، دت.

٣٢- المسعودي، مروج الذهب ومعادن الجواهر، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٤، ١٩٨١م.
٣٣- يحيي شامي، أروع ما قيل في الرثاء، بيروت، دار الفكر العربي، دت.